

التحليل الدلالي وأثره في بيان دقائق الفروق اللغوية

(الكذب والإفك والزور والبهتان والافتراء والاختلاق) أنموذجا

The semantic analysis and its impact on expressing linguistic differences details (Lying, falsity, false testimony, fable, slander, fabrication) as a model.

أم كلثوم حويشي¹

Oumkeltoum.houichi@univ-batna.dz

تاريخ الاستلام: 2024/02/21 تاريخ القبول: 2024/05/18 تاريخ النشر: 2024/09/15

Received: 21/02/2024 Accepted: 18/05/2024 published: 15/09/2024

ملخص المقال: يعد كتاب الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري مشروعا علميا حاول فيه صاحبه الجمع بين التأسيس النظري والتطبيق الفعلي لظاهرة الترادف في اللغة. إذ لم يتوقف به المطاف عند إنكار الترادف التام فحسب. بل سعى جاهدا للكشف عن المعنى الدقيق للألفاظ، من خلال ما قدمه من فروق دلالية دقيقة بين كثير من الألفاظ تداخلت وتقاربت معانيها. وقد اعتمد في ذلك على جملة من المعايير ذكرها في مستهل كتابه. ويهدف هذا المقال إلى بيان جماليات التحليل الدلالي في الفروق اللغوية الدقيقة بين: (الكذب، والإفك، والزور، والبهتان والافتراء، والاختلاق). كما يسعى المقال إلى محاولة الكشف عن أهمية الفروق الدلالية الدقيقة في الارتقاء بالقدرة اللغوية وجودة التعبير وإحكامه وإتقانه، رغبة في الوصول إلى أكمل درجات الدقة والوضوح والبيان.

كلمات مفتاحية: الترادف، التقارب الدلالي، الدلالة، التحليل.

Abstract:

The Book of Linguistic Differences that is written by Abou Elhilar El Askari is considered as a scientific project in which its author tried to combine theoretical foundation with actual application, where he not only stopped at denying the complete synonymy, but he aimed to reach the exact meaning of the words through what he presented of accurate semantic differences between many of the words that interfered and converged until the difference between them occurred, and he has relied in all of that on a set of criteria and rules that were mentioned at the beginning of the book. This article aims to show the aesthetics of semantic analysis in the accurate linguistic differences between: (Lying, falsity, false testimony, fable, slander, fabrication), Also it endeavors to try to detect the importance of accurate semantic differences in improving linguistic ability, the quality of expression, its accuracy and proficiency, in order to reach the fullest degrees of accuracy, clearness and statemen.

Keywords: Linguistic differences, synonymy, semantic closeness, semantics, analysis.

¹ - جامعة باتنة 1 - مخبر الشعرية

مقدمة:

إن اللغة ترجمان الفكر والروح بها ترتقي الأمم وتبلغ الهمم وبها تعبر عن حاجياتها وفكرها وروحها وشغفها بالحياة. كيف لا وهي أداة تواصل بين البشر تضمن لهم البقاء والاستمرار. والمتكلم في سعي دائم إلى تحري الدقة والصدق في استخدام ألفاظها. وإحكام سبكها، وجزالة أساليبها، وقوة معانيها رغبة في الوصول إلى أسمى صيغ تعبيرية محكمة يسمعها كل إنسان عربي فيتذوقها. ويجد فيها فطرة لغته في ثرائها اللغوي والفكري، كما يجد الدقة في اختيار ألفاظها ومدى تناسبها وتناسبها لتحقيق غرضه في التواصل مع بني جنسه.

إن للفظ العربية ميزات وخصائص لا يستطيع كشفها إلا صاحب ملكة وبلاغة متمرس مدرك لما تملكه اللفظة من قوة في الإيجاء، ودقة في التصوير، وقدرة فائقة على بث الحركة والحياة في الجماد، ونفاذ إلى النفس بما تحمله من أحاسيس. والأديب البليغ هو من يستطيع ذلك وقد ذكر أحمد بدوي مميزات الأديب البليغ بأنه "من يستنفذ ما للألفاظ من معان أضافها عليها الزمان، فتثير في النفس أعماق الإحساسات وتملأ الخيال بشتى الصور" (بدوي، 2005). وأما اللفظة القرآنية فقد تميزت دون غيرها من الألفاظ البشرية بخصائص تجاوزت خصائص الكلام العربي. وهذا ما أورده عمر السلامي حين تكلم عن خصائص اللفظة القرآنية، فقال: "إن أولى خصائص اللفظة القرآنية الدقة في وضعها، واختيارها، والوصف، والمعنى، والتناسق" (السلامي، 1980). وأما الخاصية الثانية فتتمثل في قدرة اللفظة القرآنية على تحريك النفس والمشاعر والتأثير البالغ مما يجعلها متميزة. وهذا حال اللفظة العربية الراقية بمميزات وخصائصها، وفي هذا يقول أحمد أمين: «إن اللغة العربية هي أرقى اللغات السامية كما يقرر دارسو تلك اللغة، فلا تعادلها اللغة الآرامية، ولا العبرية ولا غيرها من هذا الفرع السامي. وهي كذلك من أرقى لغات العالم، فهي تمتاز حتى عن اللغات الآرية بكثرة مرونتها، وسعة اشتقاقها» (أمين، 1965). إن اللفظة العربية تنبض بالحياة والحركة والتجدد حين يحسن المتكلم استعمالها. أما الأديب البليغ فهو الوحيد من يملك قدرات هائلة تمكنه من استنطاق كل ما في اللفظة العربية من خصائص تتفرد بها عن سائر لغات العالم. وأكد عمر السلامي تميز اللفظة العربية حين فصل القول عن خصائص اللفظة العربية، بأنها تشع بالحياة إذا استعملها عقل خبير بفن القول وفنون الأساليب الأدبية، ومن يدرك دقة وضعها ومعانيها ودلالاتها. فاللفظة العربية حية متميزة مرنة ولها من الخصائص الكثير مما جعلها متفردة ومتميزة.

وبناء على كون اللغة قد وضعت للتعبير عما في نفس متكلميها، فكل الجوانب اللغوية هدفها تبين المعنى والوصول به إلى أكمل درجات الدقة والوضوح والبيان. ولأن الطبيعة الحقيقية للغة لا يمكن فهمها إلا من خلال فهم المعاني فهما دقيقا لا يشوبه لبس أو غموض. ذلك أن البحث في المعاني الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة الدلالة خاصة يثبت جزما أنه لا سبيل لإحلال لفظ مكان آخر، فلكل لفظ سياقه الأنسب له ومقام يضبط أحواله. والترادف ظاهرة لغوية تجعل الألفاظ تتبادل دون أي تمييز دقيق بين معانيها. وهذا لا يتفق وسمية التعبير التي تراعى فيها الظلال والإيحاءات المخبأة في طي الألفاظ. ولا يكشفها إلا البحث في المعاني الدقيقة لتلك الألفاظ. ويهدف هذا المقال إلى بيان تلك الفروق الدلالية الدقيقة بين مجموعة من الألفاظ يجمعها عامل

مشترك وهي (الكذب والإفك والزور والبهتان والافتراء والاختلاق) لتمييز بعد ذلك كل لفظة من هذه المجموعة الدلالية بسمات دلالية فارقة تجعل لكل لفظة محل لا يتسع لغيرها. فما هي سبل الكشف عن تلك الدقائق والسمات الفارقة؟ وإلى أي مدى يمكن أن تساهم في الارتقاء بالمعنى إلى أكمل درجات الدقة والبيان؟

يطرح كتاب الفروق اللغوية "لأبي هلال العسكري" أساسا نظريا يتمثل في أن ألفاظ اللغة المترادفة لا تتطابق مطلقا. ويقدم في الوقت نفسه تطبيقا لذلك الأساس يتسم بالدقة والوضوح، وينطوي على إدراك عدد من المبادئ والأسس التي تقوم عليها العلاقات الدلالية بين تلك الألفاظ المترادفة. ورغبة في الوضوح الدلالي ودفع إشكال ما يسمى بالتداخل التام أو التداخل المطلق يقر أبو هلال العسكري بالتقارب الدلالي بين لفظ ولفظ آخر مما قد يظن ترادفهما. ولكن هذا التقارب لا يعني التطابق التام بين اللفظين، بل يعني أن ثمة مساحة دلالية مشتركة تجمع بين اللفظين، لتمييز فيما بعد كل لفظة عن الأخرى. مما يجعل توظيفها في سياق ما لا يسمح بتوظيف لفظة أخرى. وبهذا يتحقق الهدف الأسمى للغة كونها وسيلة التخاطب والتواصل، والفهم، والإفهام وليس اللبس والتعمية.

إن محاولة أبي هلال العسكري في كتابه "الفروق اللغوية" وضع معايير للفروق الدلالية بين الألفاظ المتقاربة، والتماس دقائق الفروق بين ما يظن ترادفهما هي محاولة رائدة استطاع من خلالها أبو هلال العسكري بيان كثير من الفروقات الدقيقة التي يغفل عنها مستعمل اللغة. فاستحقت محاولته تلك أسبقية التميز والتفرد رغم عدم خضوعها لنظرية تحكم أسسها. فقد استطاعت آليات التحليل الدلالي الحديثة القائمة على نظرية الحقول الدلالية ونظرية التحليل المكوناتي للمعنى أن تتقدم أشواطاً في تناولها لظاهرة التداخل في اللغة. ولا يتحقق كشف دقائق الفروق الدلالية بين المترادفات إلا باستقراء شامل وعميق للمواد اللغوية، وحصر الألفاظ وجمعها مع محاولة ربط ما ورد في المعاجم اللغوية بما جاء في كتاب الفروق اللغوية. وقد عوّلت في هذه الدراسة على المعاجم اللغوية وكتب التفسير، ذلك لأن البحث في معاني الألفاظ يقتضي تحديد كل مادة. ومتابعة أصلها في المعاجم اللغوية واستنطاق أهم الدقائق المميزة لكل لفظة تجعلها أحق بسياق دون الأخرى.

واعتمدت في سبيل ذلك على المنهج الوصفي القائم على آليات التحليل من خلال استقراء ما ورد في كتاب الفروق اللغوية من مرادفات للكذب محاولة مني تحديد الملامح الدلالية التي تتميز بها كل كلمة عن غيرها. وبالتالي تحديد دلالتها بدقة ووضعها في مكانها المناسب مع باقي الكلمات التي تجمعها ملامح دلالية مشتركة. وذلك بعد التعريف بكتاب "الفروق اللغوية" ثم التعريف بنظرية الحقول الدلالية ونظرية التحليل الدلالي. رغبة في بيان جماليات التحليل الدلالي في الفروق اللغوية للوصول بالتعبير اللغوي أسمى وأرقى درجات الدقة والوضوح.

الفروق اللغوية في الدراسات اللغوية العربية:

لقد برزت فكرة الفروق الدلالية على أيدي علماء العربية منذ البواكير الأولى للبحث اللغوي عند العرب. ونرى ذلك الحس المرهف عند علمائنا من أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ)، (سيبويه 180هـ)، (الكسائي 182هـ)، الفراء (ت 207هـ)، المبرد (ت 285هـ)، وغيرهم.

ولعل معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي شاهد على وضوح فكرة الفروق الدلالية بين كلمات العربية في عقل هذا العالم

الفذ والعلامة الحاذق الذي استطاع أن يخضع اللغة العربية بكل ما فيها من ثراء وتنوع ضخمة لمنهج عقلي رياضي صارم قائم على الاستقراء والإحصاء. فهو أول من وضع معجما عربيا، وأول من درس أصوات اللغة دراسة علمية، فجاء معجمه "العين" تجربة رائدة فريدة من نوعها جمع فيها ألفاظ اللغة وأشار إلى المستعمل والمهملة منها، كما أبان ما كان عربيا فصيحاً وما كان أعجمياً دخيلاً. ولكنه في الوقت نفسه لم يغفل الملامح الدلالية المميزة لكل كلمة من الكلمات العربية.

تشير الدراسات والأبحاث إلى أن أبرز مثال للجهود اللغوية على المستوى المعجمي والتي تسعى إلى الكشف عن دقائق الفروق بين المترادفات كتاب "الفروق اللغوية" لأبي هلال العسكري الذي استطاع أن يكشف عن فهم دقيق لمفهوم التقارب الدلالي في اللغة (داود، 2008). وقد تناول أبو هلال العسكري فكرة الفروق الدلالية بين ألفاظ تقاربت معانيها حتى أصبح أمر التمييز بينها شبه مستحيل. فلم ينكر أبو هلال العسكري الترادف مطلقاً، بل نجده يقر من جهة بوجود تقارب دلالي بين الألفاظ، وينكر في الوقت نفسه وجود ترادف تام بينها. وذكر الباحث له على تأليف كتابه "الفروق في اللغة" في مقدمته إذ يقول: «إني ما رأيت نوعاً من العلوم ولا فناً من الآداب إلا وقد صنف فيه كتب تجمع أطرافه، وتنظم أصنافه إلا في الكلام في الفرق بين معانٍ تقاربت حتى أشكل الفرق بينها، نحو: العلم، والمعرفة، الفطنة، والذكاء، والإرادة والمشية...» (العسكري، الفروق اللغوية، 2011، صفحة 21).

وكان منهجه في الدراسة والتحليل اعتماد جملة من المعايير والأسس ذكرها في مقدمة كتابه. وهي:

- اختلاف ما يستعمل عليه اللفظان اللذان يراد الفرق بين معنييهما.

- اعتبار صفات المعنيين اللذين يطلب الفرق بينهما.

- اعتبار الحروف التي تعدى بها الأفعال.

- اعتبار النقيض.

- اعتبار الاشتقاق.

- ما توجه به صيغة اللفظ.

- منها اعتبار حقيقة اللفظين أو أحدهما في أصل الوضع اللغوي (العسكري، الفروق اللغوية، 2011).

وقد جاء أسلوب العسكري كما أراد له من غير إطالة مملة ولا تقصير مخل، فجاء كتابه في ثلاثين باباً. عرض في الباب الأول: الإبانة عن كون اختلاف العبارات موجبا لاختلاف المعاني في كل لغة. وأما الباب الثاني فكان في الفرق بين ما كان من هذا النوع كلاماً. وخص الباب الثالث بالحديث عن الفرق بين الدليل، والدلالة، والاستدلال... وهكذا دواليك حتى يصل إلى الباب الأخير الذي كان في الفروق بين أشياء مختلفة.

وكثيراً ما نجد أبا هلال العسكري يكرر عبارات تؤكد ضرورة تمييز كل لفظة دالة بدلالة خاصة. من ذلك قوله: «إن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني» (العسكري، الفروق اللغوية، 2011، صفحة 21). وقوله في موضع آخر: «وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعرّف، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة، وواضع اللغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد، فإن أشير منه في

الثاني والثالث إلى خلاف ما أشير إليه في الأول كان ذلك صواباً» (العسكري، الفروق اللغوية، 2011، صفحة 22). وقوله أيضاً: «فهذا يدل على أن لكل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الأعيان في لغة واحدة، فإن لكل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر وإلا لكان الثاني فضلاً لا يحتاج إليه» (العسكري، الفروق اللغوية، 2011، صفحة 23). وقوله: «وإذا اختلفت الصيغ والأصول اختلفت المعاني لا محالة» (العسكري، الفروق اللغوية، 2011، صفحة 132).

ومما تجدر الإشارة إليه أن كتاب الفروق اللغوية يهدف إلى إيقاظ الحس اللغوي وتقويته في عقولنا وأفئدتنا، كما يدعونا إلى تنمية مهارتنا في انتقاء الكلمات ومعرفة مواضعها وصولاً إلى تعبير دقيق وأسلوب رصين وعبارات محكمة السبك ومعان دقيقة. وهذا ما يتطلبه اليوم الاستخدام الوظيفي السليم للغة لضمان تواصل ناجح يحقق غايات ومتطلبات مستعملي اللغة.

آليات التحليل الدلالي:

تعد نظرية التحليل المكوناتي للكلمة (componential analysis) وسيلة وتقنية تحدد البنية الداخلية لها، والمتمثلة في العناصر أو المكونات الدلالية *compromets sémantiques* المميزة للكلمة والتي يتم استنباطها من وجودها في عدة سياقات (حسام، 2000).

وقد تأصل هذا العلم على أيدي أعضاء دائرة براغ التي تأسست عام 1986م. وقد قامت هذه المدرسة بتصنيف النظام الصوتي للغة وتبويه، فكتفت عن السمات *Features* أو العناصر *component* التي تميز الفونيم *phonème* في النظام الصوتي. وقد تم التوصل إلى أن الفونيم لا بد أن يدرس في مجموعات تضم كل مجموعة عدداً من الفونيمات، أي الوحدات الصوتية المشتركة في السمات النطقية. ويمكن تصنيف هذه المجموعات طبقاً لهذه السمات. ومن ثمة كان التحليل الفونولوجي يهدف إلى تحديد السمات الفونولوجية الحاسمة في الأنظمة الصوتية المختلفة للغات... وانتقل هذا المنهج الفونولوجي البنائي إلى علوم إنسانية أخرى، مثل علم الأنثروبولوجي، وعلم الأدب، وعلم الدلالة الذي ذهب أحدث نظرياته إلى أن معنى الكلمة يتحدد بما تحمله من عناصر *Eléments*. وهكذا يكون التحليل المكوناتي محاكياً للتحليل الفونولوجي في طريقة تعامله مع الأصوات من خلال التماس دقائق الخصائص لكل صوت.

وقد أصبح التحليل المكوناتي أحدث الاتجاهات الرئيسية في دراسة المعنى والذي تبلور في النصف الثاني من القرن العشرين على يدي كاتز وفودور *Fodor* و *katz* تلميذي تشومسكي *chomsky* صاحب المدرسة التحويلية التوليدية في اللغة (حسام، التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، 2000). لقد قدم كاتز وفودور لأول مرة مقالهما المشهور المنشور عام 1963م.

«the structure of a semantic theory» وتقوم نظريتهما في أساسها على تشذير كل معنى من معاني الكلمة إلى سلسلة من العناصر الأولية مرتبة بطريقة تسمح لها بأن تتقدم من العام إلى الخاص وهذا ما ذكره أحمد مختار عمر (أحمد، علم الدلالة، 2009، صفحة 114). وقد ميزا بين ثلاث أنواع من العناصر أو المكونات:

1/ المحدد النحوي *gramatical marker*: ويشمل كل من: (اسم، فعل، صفة، جمع...)

2/ المحدد الدلالي *semantic marker*: وهو عنصر يمكن أن يكون في المعجم، فهو عنصر عام يشترك بين لكسييمات

lexeme تنتمي إلى حقول معجمية متنوعة.

3- المميز: وهو عنصر خاص بمعنى معين. وقد أورده حسام الدين (حسام، التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، 2000، صفحة 108).

ويذهب أصحاب نظرية التحليل المكوناتي إلى أننا نستطيع أن نحدد معنى أي كلمة بعدد الملامح الدلالية التي تميزها عن غيرها من الكلمات. وتتم عملية التحليل المكوناتي لمعنى الكلمة من خلال تحديد الكلمات ذات الخصائص المشتركة. و تأتي عملية التحليل بعد تصنيف الألفاظ داخل حقول دلالية، وتحديد الملامح الدلالية بعد ذلك لمعنى كل كلمة من هذه الكلمات من خلال استقراء جميع السياقات التي ترد فيها الكلمة، والتي نستطيع من خلالها تحديد السمات التي تميز الكلمة عن غيرها. وبهذا يمكن أن نفرق بين مجموعة من الكلمات المترادفة ذات الملامح المشتركة. ولكي يتبين معنى كل كلمة وعلاقة كل منها بالأخرى يقوم الباحث باستخلاص أهم الملامح التي تجمع كلمات الحقل من ناحية، والتميز بين أفرادها من ناحية أخرى.

أما الخطوات الإجرائية المتبعة لتحديد العناصر التكوينية، فهي: (أحمد، علم الدلالة، 2009، صفحة 122):

1- جمع مجموعة من المعاني التي تشكل مجالا دلاليا خاصا نتيجة تقاسمها عناصر تكوينية مشتركة، ومثال ذلك: أب، أم، ابن، بنت... فكلها تتقاسم قابلية التطبيق على الكائن البشري، وتعلق بالشخص الذي يتصل بآخر، إما عن طريق الدم، أو المصاهرة.

2- تقرير الملامح التي تستخدم لتحديد المحتويات التي تستعمل للتمييز، وهي بالنسبة للكلمات السابقة تكون ملامح الجنس، الجيل، الانحدار المباشر، قرابة الدم، والمصاهرة.

3- تحديد المكونات التشخيصية لكل معنى على حدى حتى تقدر على القول بأن معنى أب مثلا يتميز بتملكه للملامح والمكونات كذا وكذا.

4- وضع المكونات أو الملامح الدلالية في شكل شجري أو في شكل جدول، وكما يمكن وضع الملامح في شكل تقابلات ثنائية تتحقق بالزائد أو الناقص على النحو التالي:

	ذكر	كائن بشري	بالغ
رجل	+	+	+
امراة	-	+	+
طفل	+	+	-

وهكذا يبين الجدول التقابلات الثنائية بين الألفاظ. وهذا ما سنعتمده في تحديد الفروق الدلالية الدقيقة بين (الكذب، الإفك)، و (البهتان، الزور)، و (الاختلاق، الافتراء).

دقائق الفروق اللغوية بين الكذب والإفك.

1-4 الكذب:

جاء في مقاييس اللغة: «الكاف والذال والباء أصل صحيح يدل على خلاف الصدق، كذبت فلانا نسبته إلى الكذب، وأكذبتة وجدته كاذبا» (فارس، 1979، صفحة 167). ولا يكاد يخرج معنى الكذب لغويا عن الدلالة على خلاف الصدق.

ويعرف أبو هلال العسكري الكذب بقوله: «الكذب هو الخبر الذي يكون خبره على خلاف ما هو عليه، ويصح اعتقاد ذلك ويعلم بطلانه استدلالا... ولا يقع الكذب إلا في الخبر وخلاف الكذب الصدق» (العسكري، الفروق اللغوية، 2011، صفحة 42). وأشار في موضع آخر بقوله: «الكذب اسم موضوع للخبر الذي لا مخبر له على ما هو به. وأصله في العربية التقصير، ومنه قولهم كذب عن قرنه في الحرب إذا ترك الحملة عليه، وسواء كان الكذب فاحش القبح أو غير فاحش» (العسكري، الفروق اللغوية، 2011، صفحة 45).

إن المتأمل تعريف أبي هلال العسكري للكذب يجد بأنه قد دار في إطار صلة الخبر بالواقع الخارجي الذي أصبح دليلا على صدق الخبر أو كذبه، فالواقع الخارجي أساس صدق الخبر أو كذبه. وكما يقرن أبو هلال العسكري معنى الكذب بأصله اللغوي وهو التقصير.

وذكر أهل التفسير أن الكذب قد ورد في القرآن الكريم في أكثر من موضع، وعلى أكثر من وجه منها:

- النفاق في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: 10].

- الإنكار في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: 11] (الفيروز، 1998، صفحة 340).

وعرف ابن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير" الكذب، بقوله: «الكذب هو الخبر المخالف لما هو حاصل في نفس الأمر من غير نظر إلى كون الخبر موافقا لاعتقاد المخبر أو على خلاف ما يعتقده. ولكنه إذا اجتمع في الخبر المخالفة للواقع، والمخالفة لاعتقاد المخبر كان ذلك مذموما ومسبة. وإن كان معتقدا وقوعه لشبهة أو سوء تأمل فهو مذموم. ولكنه لا يحقر المخبر به. والأكثر في كلام العرب أن يعنى بالكذب ما هو مذموم (الطاهر، 2000، صفحة 175). فالكذب ما خالف الاعتقاد وهو مذموم بأي شكل سواء وافق اعتقاد المخبر أو خالفه. وفي ربط الخبر بالواقع الخارجي يكون الحكم على صدق الخبر أو كذبه.

2-4-الإفك:

ذكر ابن فارس في مقاييس اللغة أن «الهمزة والفاء والكاف أصل واحد يدل على قلب الشيء وصرفه عن جهته» (فارس، مقاييس اللغة، 1979، صفحة 118) وأورد ابن منظور في لسان العرب: «وأفك يَأْفِكُ إفكا. والإفك في الأصل الكذب. والأفك الذي يَأْفِكُ الناس أي يصددهم عن الحق بباطله» (الافريقي، 2008، صفحة 152). ولا يكاد يخرج المعنى اللغوي للإفك عن معنى قلب الشيء وصدده عن وجهته. وقد تكرر ذكر الإفك بصيغه المختلفة في أكثر من موضع من القرآن الكريم، وأفاد أكثر من دلالة منها:

-الكذب: في قوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: 11]

وقوله عز شأنه: ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ﴾ [الذاريات: 9]

- **قذف المحصنات:** في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ﴾ [النور: 11].

- **السحر:** في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: 117].

وذهب أبو عبيدة إلى أن "الإفك هو البهتان وأساء الكذب" (عبيدة، د.ت، صفحة 70). وإلى مثله أشار ابن عاشور في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ﴾ [النور: 11]. "أن الإفك أبلغ من الكذب

أما أبو هلال العسكري فيعرف الإفك بقوله: «الإفك هو الكذب الفاحش القبيح، مثل الكذب على الله ورسوله أو على القرآن، وغير ذلك مما يفحش قبحه» (العسكري، الفروق اللغوية، 2011، صفحة 45)

وخلاصة القول فيما سبق ذكره أن الإفك في أصل الوضع اللغوي هو الصرف والقلب. وقد راعى القرآن الكريم ذلك فاستعمل الإفك بمعنى الكذب، والسحر، والقذف. لأن في كل ذلك قلبا للشيء عن وجهه ولما فيه من مبالغة في تصوير الباطل في صورة الحق أو الكذب في صورة الصدق. وقد خصه أبو هلال العسكري بخاصية الفحش، فالإفك كل كذب فاحش نظرا لما يترتب عليه من تعمية للحق وإفشاء للباطل.

أما الكذب فهو كل ما خالف الواقع. وهو نقيض الصدق. وقد دعا أبو هلال العسكري إلى الفرق بين الكذب وبين الإفك. وأكد على الاختلاف الدلالي بينهما، فإن اشتركا في الدلالة على نقيض الصدق، فإن الإفك يختص فيما بعد للدلالة على كل كذب فاحش، والجدول الآتي: (رقم 1) يوضح أهم الفروق الدلالية بين الكذب والإفك

الجدول الأول:

	نقيض الصدق	التقصير	الصرف	الفحش
الكذب	+	+	-	
الافك	+	+	+	+

وبعد أن جعل أبو هلال العسكري الفرق بين الكذب والإفك فرقا في الدرجة، فالكذب نقيض الصدق سواء كان فاحش القبح أو غير فاحش. أما الإفك فهو الكذب الفاحش. لينتقل بعد ذلك أبو هلال العسكري إلى التفريق بين الزور والبهتان، والافتراء والاختلاق. ويتجه في كل ذلك إلى علاقة هذه الدوال بالكذب. وهو في معالجته هذه يعتمد أساسا على المعيار الاشتقاقي.

- دقائق الفروق اللغوية بين الزور والبهتان.

ذهب أبو هلال العسكري إلى أن الزور هو: «الكذب الذي قد سوي وحسن في الظاهر ليحسب أنه صدق. وهو من قولك "زورت الشيء" إذا سويته وحسنته» (العسكري، الفروق اللغوية، 2011، صفحة 47) أما البهتان فلا نكاد نجد له عند أبي هلال العسكري إلا تعريفا واحدا وهو «مواجهة الإنسان بما لا يحبه» (العسكري، الفروق اللغوية، 2011، صفحة 47)

(العسكري، 2011، ص: 47). وإذا ما عدنا إلى المعاجم اللغوية، فإننا نجد أنها تجمع في معظمها على أن الزور هو الانحراف، والميل والعدول (فارس، مقاييس اللغة، 1979، صفحة 36). ولا يكاد يحيد الاستعمال القرآني للزور عن هذه الدلالة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: 72]، وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: 4] وقوله عز شأنه: ﴿مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [المجادلة: 2].

وذكر أبو البقاء الكفوي في الكليات أن الزور ورد في القرآن الكريم في أكثر من موضع وكان له معنيان، فقال: "...فكل ما ورد في القرآن الكريم من الزور فهو الكذب مع الشرك إلا قوله تعالى: ﴿مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [المجادلة: 2]، فإنه كذب بلا شرك (البقاء، 1998، صفحة 765)". وذكر ابن عاشور في تفسيره: «أن أحسن ما قيل في الزور أنه الكذب المحسن، بحيث يشبهه بالصدق» (الطاهر، التحرير والتنوير، 2000).

أما البهتان، فقد عرفه ابن فارس في مقاييس اللغة بأنه: «من بهت الرجل يبهته بهتًا، فهو بهت، أي قال عليه ما لم يفعله، فهو مبهور. وبهته أخذه بغتة (فارس، مقاييس اللغة، 1979، صفحة 307) وفي التنزيل العزيز: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾ [الأنبياء: 40]. وباهته استقبله بأمر يقنطه به وهو منه برئ لا يعلمه، فبهت منه» (الافريقي، لسان العرب، 2008).

ولا يكاد يخرج البهتان في أصل وضعه اللغوي عن الحيرة والدهشة مما هو غير متوقع. وقد ترددت مادة "بهت" في التراكيب القرآنية بمختلف صيغها الاشتقاقية في أكثر من موضع، منها قوله تعالى:

- ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾ [الأنبياء: 40].

- ﴿فَبُهَّتِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 258].

- ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: 16].

- ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ﴾ [المتحنة: 12].

- ﴿وَيَكْفُرْهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 156].

وما يمكن أن نستخلصه مما سبق ذكره أن البهتان لا يكاد يخرج عن دالتين اثنتين هما:

- قول الخير الكاذب.

- المباغنة المدهشة المحيرة في إثبات بطلانه. وقد تردد ذكره في القرآن الكريم بصيغ اشتقاقية مختلفة تكاد تجمع في مجملها على الدلالة على الحيرة والدهشة.

- أما الزور فهو الخبر الكاذب المموه المحسن ليشبه بالصدق. وقد ورد في القرآن الكريم بأكثر من صيغة كانت في معظمها تدل على الانحراف والعدول. ويتميز الزور عن البهتان بحمله سمات دلالية خاصة. فبعد أن اجتمعا في الدلالة على الخبر الكاذب، لينفرد البهتان بعد ذلك في الدلالة على الحيرة والدهشة والمباغنة. وأما الزور فيتسم بالتمويه سمة مميزة له. والجدول الآتي (رقم 2) يلخص ذلك:

الجدول رقم 2:

التمويه	المباغطة	الدهشة	الميل	الخبر الكذب	
+			+	+	الزور
	+	+		+	البهتان

دقائق الفروق اللغوية بين الافتراء والاختلاق:

وإذا ما انتقلنا إلى بيان الفروق الدلالية الدقيقة بين (الافتراء والاختلاق) فإننا نجد أبا هلال العسكري يفرق بينهما بقوله: «إن افتري قطع على كذب وأخبر به. واختلق قدر كذبا وأخبر به، لأن أصل افتري قطع وأصل اختلق قدر» (العسكري، الفروق اللغوية، 2011، صفحة 38)

إن الأساس الذي اعتمده أبو هلال العسكري في التفريق بين الافتراء والاختلاق هو أصل الوضع اللغوي، وما جاء ذكره في معاجم اللغة، فقد جاء في لسان العرب: «فرى الشيء يفره فريا وفراه شقه وأفسده» (الافريقي، لسان العرب، 2008، صفحة 151). وذكر ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة: «الخلق: هو التقدير» (فارس، مقاييس اللغة، 1979، صفحة 213). وعرف ابن فارس الافتراء بقوله: «الفاء والراء والحرف المعتل: قطع الشيء. ومنه فلان يفرى الفري إذا كان يأتي بالعجب.» (فارس، مقاييس اللغة، 1979، صفحة 394).

ويستعمل الخلق في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء، نحو قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: 164] أي أبدعها، بدلالة قوله عز شأنه: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: 17]. ويستعمل الخلق في إيجاد الشيء من الشيء، في مثل قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: 01] وليس الخلق بمعنى الإبداع إلا لله تعالى. ولا يستعمل الخلق في جميع الناس إلا على وجهين.

1/- أحدهما في معنى التقدير.

2/- الثاني في الكذب، نحو قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: 17]. وأما "الافتراء فهو العظيم من الكذب، يقال لمن عمل عملا فبالغ فيه إنه ليفري الفري" (البقاء، الكليات، 1998، صفحة 220). وقد وظف الاستعمال القرآني الافتراء بمختلف مشتقاته في أكثر من موضع. أما الاختلاق فلم ترد إلا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ [ص: 7].

وإذا ما تأملنا كتب التفسير فلا نكاد نجد تمييزا بين دالتي "الافتراء" والاختلاق، فقد ذكر ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 137] المراد به "يفترون" ما يفترون على الله سنة أنه أمرهم بما اقترفوه. وكان افتراؤهم إشباعا لافتراء شركائهم، فسماهم افتراء لأنهم تقلدوه عن غير نظر ولا استدلال (الطاهر، التحرير والتنوير، 2000). وأشار في موضع آخر إلى أن الافتراء الكذب الذي لا شبهة لقائله فيه (الطاهر، التحرير والتنوير، 2000).

أما الرازي فقد فصل القول في الافتراء، فقال: «الافتراء اختلاق الكذب. والفرية الكذب، والقذف. وأصله من فرى الأديم

وهو قطعه، فقليل الكذب افتراء لأن الكاذب يقطع به في القول من غير تحقيق في الوجود.» (الرازي، د.ت، صفحة 101).

وبناء على ما سبق ذكره يتبين لنا أن ثمة مساحة دلالية مشتركة تجمع الافتراء والاختلاق فكلاهما يحمل دلالة الكذب. لنتميز فيما بعد كل لفظة بخصائص وسمات تميز عن الأخرى، فبينما ينفرد الاختلاق بالنسج على غير منوال سابق. نجد الافتراء أكد في تعمد المخبر الكذب قصد الإفشاء والإفساد، ويطلق على العظيم من الكذب. والجدول الآتي (رقم 3) يوضح ذلك:

الجدول رقم (3):

	الكذب	القطع	الإفشاء	التعمد	التقدير
الافتراء	+	+	+	-	
الاختلاق	+	-	+	+	+
			-		

خ- كشف البحث عن نموذج متميز في التحليل الدلالي في تراثنا اللغوي. وذلك من خلال ما قام به أبو هلال العسكري في كتابه "الفروق اللغوية" الذي حاول فيه التماس الفروق الدقيقة بين كثير من الألفاظ التي تقاربت معانيها وأشكل أمر التفريق بينها. عن طريق جمع الألفاظ في مجموعات دلالية ليوضح فيما بعد أهم الفروق الدقيقة بينها معتمدا في ذلك كله على مجموعة من المعايير كان قد ذكرها في مقدمة كتابه.

- كما كشف البحث أهمية الفروق الدلالية في الارتقاء بالقدرة اللغوية، وجودة التعبير وإحكامه، وإتقانه عند الناطق باللغة العربية. كما تساعد المتلقي على الفهم الدقيق للمعاني وتجنبه الوقوع في مطبات ومتاهات الغموض، بعد أن تختصر عليه الوقت والجهد معا.

- تجمع الدوال الآتية: الكذب، الإفك، الزور، البهتان، الافتراء، الاختلاق، مساحة دلالية مشتركة ألا وهي الدلالة على نقيض الصدق، لتنفرد بعد ذلك كل دالة من الدوال السابقة بسمات دلالية تميزها عن غيرها مما يجعلها أحق بسياق معين دون غيرها، كما يجعل أمر استبدال دالة بأخرى مستحيلا وفق ما يتوافق والطبيعة الحقيقية للغة كونها وسيلة للمعرفة والفهم والإفهام.

- إن الكذب هو كل ما خالف الواقع. وهو نقيض الصدق. أما الإفك فهو كل كذب فاحش.

- والزور هو الخبر الكاذب المموه المحسن. أما البهتان فهو الخبر الكاذب المتميز بالخيبة والدهشة والمباغطة.

- تجمع الافتراء والاختلاق مساحة دلالية مشتركة وهي الكذب. وينفرد الاختلاق بالنسج على غير منوال سابق. أما الافتراء فيتضمن تعمد المخبر الكذب قصد الإفشاء والإفساد.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص.

- أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965.
- أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، دار النهضة المصرية، القاهرة، 2005.
- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب القاهرة، 2009.
- أبو البقاء الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998.
- حسام الدين كريم، التحليل الدلالي، إجراءاته ومناهجه، دار غريب، القاهرة، 2000.
- أبو عبدة معمر بن المنثي، مجاز القرآن، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.
- عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن الكريم، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس 1980.
- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- ابن فارس، مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، 1979.
- الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لجنة إحياء التراث، القاهرة، 1998.
- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، لبنان، 2000.
- محمود داوود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، دار غريب، القاهرة، 2008.
- ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2008.
- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، دار العلم والثقافة، القاهرة، 2011.

-al-Qur'ān al-Karīm bi-riwāyat Ḥaḥṣ

-Aḥmad āmin, Ḍuḥā al-Islām, Maktabat al-Nahḍah al-Miṣrīyah, al-Qāhirah, 1965.

-Aḥmad Badawī, min Balāghat al-Qur'ān, Dār al-Nahḍah al-Miṣrīyah, al-Qāhirah, 2005.

-Aḥmad Mukhtār 'Umar, 'ilm al-dalālah, 'Ālam al-Kutub, al-Qāhirah, 2009.

-Abū al-Baqā' al-Kaffawī, al-Kullīyāt, Mu'assasat al-Risālah, Bayrūt, 1998.

- Ḥusām al-Dīn Karīm, al-Taḥlīl al-dalālī ijrā' th wa-manāhijuh, Dār Gharīb, al-Qāhirah, 2000.

-Abū 'Ubaydah Mu'ammār ibn al-Muthannā, mujāz al-Qur'ān, Maktabat al-Khānjī, al-Qāhirah.

- 'Umar al-Sallāmī, al-i'jāz al-Fannī fī al-Qur'ān al-Karīm, Mu'assasāt 'Abd al-Karīm ibn 'Abd Allāh, Tūnis, 1980.

Fakhr al-Dīn al-Rāzī, Mafātīḥ al-ghayb, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt.

-Ibn Fāris, Maqāyīs al-lughah, Dār al-Fikr, Bayrūt, 1979.



- al-Fayrūz Ābādī, Baṣā'ir dhawī al-Tamyīz fī Laṭā'if al-Kitāb al-'Azīz, Lajnat Ihya' al-Turāth, al-Qāhirah, 1998.
- Muḥammad al-Ṭāhir ibn 'Āshūr, al-Taḥrīr wa-al-tanwīr, Mu'assasat al-tārīkh al-'Arabī, Lubnān, 2000.
- Maḥmūd Dāwūd, Mu'jam al-Furūq al-dalālīyah fī al-Qur'ān al-Karīm, Dār Gharīb, al-Qāhirah, 2008.
- Ibn manẓūr al-Afrīqī, Lisān al-'Arab, Dār Ṣādir, Bayrūt, 2008.
- Abū Hilāl al-'Askarī, al-Furūq al-lughawīyah, Dār al-'Ilm wa-al-Thaqāfah, al-Qāhirah, 2011.